

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[121] تلك النعمة ؟ وأين العدالة ؟ وأين الحكمة ؟ ولماذا لا تعطيني مثله ؟ بل قد يتصور نسبة العجز إلى الله تعالى عندما يعطي غيره ولا يعطيه هو ولهذا يفضل أن تسلب تلك النعمة من ذلك الشخص وتصل إليه. وعلى هذا الأساس فالحاسد في الحقيقة يعيش في حالة من اهتزاز دعائم الإيمان والتوحيد الأفعالي في واقعه الروحي، لأن الإنسان المؤمن بأصل التوحيد الأفعالي يعلم جيداً أن تقسيم النعم الإلهية على العباد لا يكون اعتباطياً، بل وفق ما تقتضيه الحكمة الإلهية، ويعلم كذلك أن الله تعالى يملك القدرة في أن يرزقه أكثر وافضل من ذلك الشخص فيما لو كان يتمتع باللياقة لمثل هذه النعم والمواهب، إذن عليه أن يسعى لتحصيل القابلية واللياقة لذلك. ولهذا نقرأ في الحديث القدسي حيث يخاطب الله تعالى نبيه زكريا : "الْحَاسِدُ عَدُوٌّ لِدُعْمَتِي، مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي، غَيْرُ رَاضٍ لِقِسْمَتِي السَّخِيَّةِ قَسَمْتُ بِعَيْنِ عَبْدَادِي" (1). وقد ورد شبه هذا المضمون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال : "إن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران : "لَا تَحْسُدَنَّ النَّاسَ عَلَى مَا آتَيْتُهِمْ مِنْ فَضْلِي، وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ذَلِكِ، وَلَا تَتَّبِعْهُ زَفْسَكَ، فَإِنَّ الْحَاسِدَ سَاخِطٌ لِدُعْمِي، ضَادٌّ لِقِسْمِي الَّذِي قَسَمْتُ بِعَيْنِ عَبْدَادِي وَمَنْ يَكُ كَذَلِكَ فَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ مِنِّي !" (2). والخلاصة أن الحسود لا يتمتع في الحقيقة بدعائم إيمانية وعقائدية راسخة وإلا فإنه يعلم أن حسده ما هو إلا نوع من أنواع الانحراف عن خط التوحيد وعن الحق. ويقول الشاعر في هذا المجال : الا قل لمن كان لي حاسداً *** اتدري على من اسأت الأدب ؟ ! اسأت على الله في فعله *** إذا أنت لم ترض لي ما وهب ! (3) - - 1. المحجّة البيضاء، ج 5، ص 326. 2. أصول الكافي، ج 2، ص 307. 3. سفينة البحار، مادة حسد.